(سبتمبر) في الضفة الفلسطينية هذه المرة؛ اذ وقعت اشتباكات عنيفة بين جنود الاحتلال، الذين هاجموا المدرسة الثانوية في قرية جمّاعين (شرق نابلس)، وبين التلاميذ وأهلهم. وفي نهاية الأمر، سقط مواطنان وجرح ما بين ٢٠ و٣٢ بالرصاص، عاد وتوفّى اثنان منهم متأثرين بجروحهما (**فلسطين الثورة**، نيقوسيا، ٧/١٠/١٩٩٠). ووسط هذه الاجواء المشحونة، سقط ثلاثة شهداء في انحاء الارض المحتلة، في الثاني من تشرين الاول (اكتوبر)، واستشهد مواطنان آخران في الثالث والخامس منه.

مجزرة القدس

ثمّ وقعت المواجهة الكبرى، التي أكدت الاتجاه الصدامي المتنامي في الارض المحتلة، وأسقطت ما تبقى من سياسة ارنس الاساسية؛ اذ حصلت المجابهات الدامية في باحة المسجد الاقصى بين عسكريي العدو والمتظاهرين الفلسطينيين، ممّا أدّى الى استشهاد ٢١ مواطناً وجرح ما يزيد على ١٥٠. ويمثّل ذلك أكبر عدد من الشهداء الذين سقطوا في يوم واحد، منذ اندلاع الانتفاضة. وقد ادّعت الشرطة الاسرائيلية بأن عمليات اطلاق النار الغزير جاءت فقط كنتيجة لقيام المتظاهرين برشق المصلّين اليهود عند حائط المبكى بالحجارة، وبعد مهاجمة ومحاصرة مخفر الشرطة عند باب المجلس بطرف الباحة. وبالمقابل، أثبتت الادلّة ان رشق المصلّين لم يحصل الاّ بعد بدء الاشتباك، وبعد خروج معظمهم من منطقة الحائط، وان مستوطنين مسلّحين شاركوا باطلاق النار، وان غالبية الشهداء سقطت بعد اخلاء مخفر الشرطة، ممّا يشير الى الطبيعة العدوانية والوحشية لتصرّف السلطات المعنيّة (**ميدل ايست انترناشونال**، ١٢/١٠/١٩٩٠). ويضاف الى ذلك ان الفلسطينيين كانوا تجمهروا أصلاً، وربما كدّسوا الحجارة والقضبان احتياطاً، للذود عن المسجد الاقصى بعد اعلان رئيس الحكومة الاسرائيلية، اسحق شامير، قبل يوم، عن نيّة بناء حي يهودي جديد في جبل الزيتون، وأمام خطة جماعة «امناء الهيكل» اليهودية المتطرّفة وضع الحجر الاساس لما يسمّى الهيكل في باحة المسجد (**المصدر نفسه**).

أمّا مضاعفات المجزرة، فكانت جسيمة، وواسعة الانتشار؛ اذ اندلعت التظاهرات الاحتجاجية العنيفة على الفور في انحاء الارض المحتلة، حيث سقط شهيدان اضافيان في قطاع غزة، وثالث في الضفة الفلسطينية، وأُصيب أكثر من ٦٠ شخصاً بجروح في القطاع وحده (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٠/١٠/١٩٩٠؛ **والحياة**، ٩/١٠/١٩٩٠). كما امتدت المواجهة الى الارض المحتلة العام ١٩٤٨، حيث تحوّلت الاحتجاجات الى صدامات مفتوحة في مدينة الناصرة، في اليوم التالي. وقد ردّت سلطات الاحتلال بفرض حظر التجول على أماكن عدة، وأغلقت القدس الشرقية، ومنعت الدخول الى المسجد الاقصى لمدة يوم. كما اعتقلت الشرطة ١٤٤ مواطناً في القدس، و٤٠ متظاهراً في الارض المحتلة العام ١٩٤٨، فيما زجّت بألفي عنصر فيها، وأصابت ٥٠ فلسطينياً اضافياً خلال مواجهات جديدة في مختلف المناطق، خلال اليومين التاليين (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٠/١٠/١٩٩٠؛ **والحياة**، ١١/١٠/١٩٩٠).

انما تمثّلت النتائج بظاهرة أخرى، ألا وهي تكرار الهجمات الفردية المتبادلة بين المواطنين الفلسطينيين والافراد الاسرائيليين. وقد عثر على سائق اجرة اسرائيلي مقتولاً بالرصاص عند مدخل ابو غوش، في الثامن من تشرين الاول (اكتوبر)، ربما بعملية انتقامية (**الحياة**، ٩/١٠/١٩٩٠). ثمّ هاجم شبان فلسطينيون اثنين من أفراد الشرطة في القدس، في اليوم التالي، وجرحوهما طعناً، علماً بأنه تمّت اصابة واعتقال اثنين من المهاجمين كذلك (**انترناشونال هيرالد تربيون**، ١٠/١٠/١٩٩٠). غير ان مثل هذه الاعمال لم تأت من جانب واحد؛ اذ كان الجنود اقترفوا جريمة في ٢٩ أيلول (سبتمبر)، حين قذفوا شاباً فلسطينياً الى داخل اطار محترق في غزة، ممّا أدّى الى اصابته بحروق بنسبة ٤٠ بالمئة؛ كما ألقى مدنيون اسرائيليون الحجارة على السيارات الفلسطينية، وهاجموا العمّال في أماكن مختلفة.

وجدير بالذكر، اخيراً، ان حصيلة شهر العنف هذا كانت استشهاد ٣٨ فلسطينياً، منهم طفل رضيع توفّى بعد منع ذويه من نقله الى الطبيب في اثناء نوبة ربو، في ٢٣ أيلول (سبتمبر)، ومواطن قتله عميل في الخامس من تشرين الاول